الدلالات الاجتماعية لاختلاف الرسم القرآني

أ.جقبوب رضا مالك
المركز الجامعي - الجلفة-

ـ المقدمة: 1

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم عل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للبشرية نظاما شاملا، ومنهجا متكاملا، ويبقى معجزة الإسلام الخالدة، التي تثير عقول الباحثين وتُلهم فِكر المتدبرين. وإن أول ما يستوقف التالي المتدبر للقرآن هو رسمه، أي طريقة كتابته الفريدة من نوعها والمشهورة بالرسم العثماني1 والتي بقيت المصاحف تحافظ على هيكل كلماتها الأصلي قرنا بعد قرن، دون تغيير أو تحديث، اللهم إلا النقاط و حركات الإعراب وبعض المدود التي استُحدِثت بعد زمن النبوة، لتسهيل تلاوة القرآن الكريم للوافدين الجدد على دين الله من الأمم غير العربية .ولأهمية رسم المصحف الشريف، كان الرسول صلى الله عليه و سلم يشرف شخصيا على أمر كتابة القرآن الكريم، من خلال كُتاب الوحي، حيث كان هو من يملي عليهم، وكان أشهر هؤلاء الكتبة زيد بن ثابت رضي الله عنه، لقرب سكناه من بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم،لما أخرجه ابن أبي داود أن زيد بن ثابت قال : « كنت جار رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا نزل الوحي أرسل إليَّ فكتبت الوحي» 2 ولما رواه البخاري و غيره عن البراء رضي الله عنه قال : «لما نزلت (**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)3. قال النبي صلى الله عليه و سلم ادع لنا زيدا

وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة. ثم قال اكتب (**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ**)».4 بل كان صلى الله عليه وسلم يراجع ما أملاه عليهم، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : «كنت أكتب الوحي لرسول الله ... فكنت أدخل عليه فأكتب وهو يملي علي فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن وحتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا فإذا فرغت قال اقرأه فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس». 5 ومن تمام ذلك كان صلى الله عليه وسلم يشرف بذاته على ترتيب الآيات والسور، ويدل عليه ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان رضي الله عنهم قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان، ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : «ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وينزل عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وينزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»6 من خلال ما سبق، قال كثير من العلماء بأن القرآن الكريم كله كُتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على الجلود و غيرها، إلا أنه لم يكن مجموعا في مصاحف، منهم القسطلاني القائل: "وقد كان القرآن كله مكتوبًا في عهده صلى الله عليه وسلم ، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور"7 ومما يقوي هذا الرأي ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: " قدم عمر ، فقال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان"8.ويُعضده ما أخرجه ابن أبي داود أيضاً، ولكن

من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد : " اقعدا على باب المسجد ، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"9. قال الحافظ ابن حجر: " المراد بالشاهدين : الحفظ والكتابة"10. وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن طريقة كتابة الكلمات القرآنية توقيفية، أي بوحي من الله تعالى وبالتالي فقد نُزه هؤلاء الكُتاب عن الغفلة، وعُصموا من الخطأ أثناء كتابتهم لأسمى و أعظم كتاب. وقد نقل ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال: " ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرةٌ واحدةٌ، وإنما هو توقيفٌ من النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم –، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الألف ونقصانِها، لأسرارٍ لا تهتدي إليها العقول، ... وهو سرٌّ من أسراره خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، ... وكما أن نظم القرآن معجزٌ، فرسمه أيضًا معجز"11 .ومما يقوي يقيننا بأن كتابة المصحف الشريف توقيفية و ليست اجتهادا من الصحابة هو ما ورد في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لابني الجلند حيث جاءت فيها كلمة (الكافرين) بالألف الصريحة في حين أنها لم ترد في القرآن كله بهذا الشكل رغم ورودها 84 مرة حيث كُتبت دون ألف هكذا : (الكفرين أو الكفرون)

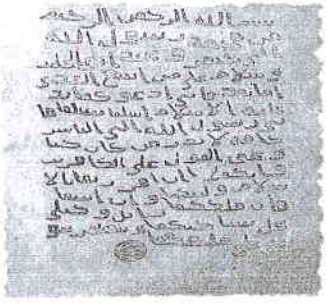

الوثيقة12

فكما أن القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فكذلك رسمه لا يعتريه زلل، ولا يقع فيه خطأ أو سهو، لأنه من عند الله سبحانه و تعالى .عند التأمل في كتاب الله نجد شيئا عجيبا، يرد اللفظ الواحد في موضعين و بكتابة مختلفة وفي بعض الأحيان نجد ذلك في مكان واحد فهل يؤثر ذلك على دلالة ذلك اللفظ ؟ وكيف ؟ وما أثر ذلك على المعنى العام للنص القرآني الوارد فيه ذلك اللفظ ؟ وما الدلالات الاجتماعية المستنبطة من ذلك كله ؟

تكمن أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية :

أ ـ إن فضل أي علم يتعلق بالموضوع الذي يدرسه، ونحن ـ بفضل الله و منته ـ بصدد دراسة كلام الله تعالى، والذي هو أعظم معلوم، وأفضل مدروس، وفضل كلام الله تعالى على كلام البشر، كفضل الله على باقي مخلوقاته .

ب ـ أمرنا الله تعالى في كثير من الآيات بإعمال العقل من أجل التدبر و التأمل في كتاب الله المنظور، الذي هو الكون وفي كتابه المسطور، والذي هو قرآنه، ونحن في هذه الدراسة نقوم بالامتثال لما طلبه الله منا .

ج ـ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه، وما زال العلماء عبر الأزمان يغوصون في أعماقه،ويستخرجون درره ويفكون أسراره، ونحن بعون الله من خلال موضوعنا المتواضع نقوم باستخراج بعض هذه الدرر و نفك بعض هذه الأسرار.

د ـ يتطرق الموضوع إلى بحث مهم في علم أصول الفقه، وهو دلالة الألفاظ الشرعية على المعاني، حيث يعطيها مفهوما أوسع سعة تعريف علماء الأصول لها وهو : كَوْن الشيء يَلْزَم مِن فَهْمِه فَهْم شيء آخَر، أو كَوْن الشيء بحيث يَلْزَم مِن العِلْم به العِلْم بِغَيْره13.

هـ ـ يهتم الموضوع بكشف بعض الأسرار الربانية لاختلاف الرسم القرآني للفظ الواحد من خلال استنباط دلالاته الاجتماعية، و الذي كان يُعتبر أي اختلاف الرسم، ولأزمنة مديدة غير ذي مقصد واضح وليس له تفسير جلي.

أما فيما يخص الدراسات السابقة، لم أجد ـ بحسب علمي ـ من تطـرق إليه من القدمـاء بشكل مباشر إلا أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، في كتابه :عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، لكنه غاص ـ رحمه الله ـ فيه غوصا فلسفيا مما جعله أكثر غموضا، وأبعد وضوحا وفهما.أما في عصرنا الحالي فقد وجدت دراسات تطرقت لجانب من موضوعنا،وأخص بالذكر:

ـ إعجاز رسم القرآن لمحمد شملول، حيث اقتصر فيه على جانب الدلالة اللغوية السطحية ولم يغص في أعماق الدلالات الأخرى.

ـ إعجاز الرحمن في رسم القرآن، لزهدي جمال الدين، وهو كسابقه لم يذكر إلا شيئا يسيرا من الدلالة اللغوية للفظ القرآني من خلال اختلاف رسمه، ولم يُعرج على باقي الدلالات .

2 ـ مشتملات الموضوع :

حتى نلج مباشرة في صلب الموضوع، اخترت ثلاثة ألفاظ ورد الاختلاف في كتابتها في المصحف الشريف، فبعون الله سنتطرق إلى دراستها و استنباط الدلالات الاجتماعية لهذا الاختلاف.فعناصر الموضوع إذًا هي :

أ ـــ الدلالة الاجتماعية في اختلاف رسم لفظ : **(سامري / سمري)**

ب ـ الدلالة الاجتماعية في اختلاف رسم لفظ : **(امرأت / امرأة)**

ج ـــ الدلالة الاجتماعية في اختلاف رسم لفظ : **(صاحبه / صحبه)**

أ ـــ الدلالة الاجتماعية في اختلاف رسم لفظ : (السامري / سمري)

ـ ورد لفظ (السامري / سمري) مرة بالألف و مرة دون ألف في قوله تعالى : **(قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**

إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96))14

فما دلالة ذلك ؟في حقيقة الأمر أننا عند التدبر نجد أن الكلمة القرآنية إذا كتبت بطريقة مغايرة، فهذا يدل على أنها تحمل دلالة ومعنى مغاير عن الموضع الذي كتبت فيه بالطريقة الأخرى .فمثلا لفظ السامري كتب مرة بالألف (السامري) ومرة دون ألف (سمري) فهذا يدل على اختلاف الدلالة في الموضعين : فـ (السامري) بالألف وردت في قوله تعالى : (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)، (أَلْقَى السَّامِرِيُّ) فقد كانت للسامري مكانة عالية، وطاعة كاملة عند بني إسرائيل و بالتالي كان معظما عندهم مما أكسبه تكبرا و غرورا في نفسه.أما (سمري) دون ألف فقد و ردت في قوله تعالى : (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ (95)) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي)فكان المخاطِب له هو سيدنا موسى عليه السلام و كان يخاطبه بلهجة تهديد ممزوجة باحتقار و صغار، مما أكسب السامري ذلا و خوفا، في نفسه و تبدى ذلك جليا في قوله : (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي).وإذا أردنا التوضيح أكثر نقول : ورد لفظ (السامري) بالألف في جو كان فيه السامري يتمتع بمكانة وعلو خارجي (من طرف بني إسرائيل)، ومن جهة أخرى كبـــــر و طغيان داخلي (في نفس السامري) فكانت له إجمالا صورة كبيرة .وورد (سمري) بدون ألف في جو كان فيه السامري يعاني فيه من احتقار و تصغير خارجي (من طرف موسى عليه

السلام)، ومن جهة أخرى ذل و هوان داخلي (في نفـ ـسامري) فكانت له إجمالا صورة صغيرة .لذلك جاء لفظ (**السامري**) بالألف لدلالة على اختلاف مدلوله على لفظ (**سمري**) بدون ألف. فإثبات الألف في لفظ (**السامري**) يدل على العلو و السؤدد الاجتماعي و النفسي له، وحذف الألف لفظ (سمري)يدل على التصغير و التحجيم الاجتماعي و النفسي له.**والدلالة الاجتماعية من خلال ذلك كله هي عدم فسح المجال لدعاة الضلال والفساد، لنشر أفكارهم، ونفث سمومهم،وعدم تعظيمهم والرفع من قيمتهم ومكانتهم الاجتماعية،بل يجب التقليل من شأنهم و التحجيم لدورهم،ليحسوا داخل ذواتهم وأنفسهم بالذل والهوان والخيبة والحقار، فيمنعهم ذلك من إفساد الأخلاق، وهدم القيم، فينجو بذلك المجتمع ويسلم من كل عيب وبلية. والله أعلم بمراد كلامه.**

ب ـ الدلالة الاجتماعية في اختلاف رسم لفظ : (امرأت / امرأة)

أما لفظ (**امرأت / امرأة**) ورد مرة بالتاء المربوطة و مرة بالتاء المفتوحة و ذلك في المواضع التالية :

- ﴿إِذْ قَالَتِ **امْرَأَتُ** عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾15
- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ **امْرَأَتُ** الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا﴾ 16
- ﴿ وَقَالَتِ **امْرَأَتُ** فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ 17

- (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ)18
- (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ) 19
- (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) 20
- (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ)21
- (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ)22

فما سبب ذلك ؟ وما مدلوله الاجتماعي؟

وردت (**امرأت**) بالتاء المفتوحة في المواضع التالية :

امْرَأَتُ عِمْرَانَ ، امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ، امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ، امْرَأَتَ نُوحٍ ، امْرَأَتَ لُوطٍ.

حيث جاءت مضافة إلى زوج فدل ذلك على أنها متزوجة.أما (**امرأة**) بالتاء المربوطة فقد وردت مقطوعة عن الإضافة، فقد أتت في سياق التحدث مرة عن ملكة سبأ، وقد جاء في بعض الآثار أنها لم تكن ذات زوج23 ،ومرة في سياق الحديث عن حال النشوز و الإعراض من طرف الزوج،و تارة في سياق الكلام عن ميراث المرأة بعد وفاة زوجها، وأخيرا في قصة المرأة الطالبة للزواج (الواهبة نفسها للنبي).

إجمالا صَوَرَ لنا لفظ(**امْرَأَتُ**) بالتاء المفتوحة حياة زوجية مازالت قائمة ومستمرة.

و صَوَرَ لنا لفظ (**امرأة**)بالتاء المربوطة إما عدم الارتباط بالزوج أصلا (ملكة سبأ)أو حياة زوجية مهددة بالزوال (حال نشوز الزوج و إعراضه عن زوجته) أو حياة زوجية زائلة فعلا (وفاة الزوج)أو امرأة راغبة في الزواج (الواهبة نفسها للنبي) لذلك جاءت التاء برسم مغاير للدلالة على اختلاف معنى امرأة عن المواضع الأولى.

ففتح التاء يدل على المرأة المرتبطة بزوج ويعني الانفتاح والامتداد والسعة، وربط التاء يدل على المرأة غير المرتبطة بزوج ويعني الانغلاق والضيق والانحصار.

والدلالة الاجتماعية لذلك كله هي التنبيه إلى أهمية الزواج بالنسبة للمرأة على الخصوص، لاختلاف طبيعتها النفسية والجسدية عن الرجل، فلا تستطيع المرأة أن تُكَوِّن أسرة وتواجه صعاب الحياة، إلا بمعية شقيقها الرجل في صورة الزوج، لذلك يجب على الجميع السعي لتسهيل تزويج النساء، سواء كن أبكارا أو مطلقات أو أرامل، لما له من آثار إيجابية على تماسك واستقرار المجتمع و صلاحه. و الله أعلم بمراد كلامه.

ج ـــ الدلالة الاجتماعية في اختلاف رسم لفظ : (صاحبه / صحبه)

ورد لفظ : (**صاحبه / صحبه**) مرة بالألف و مرة دون ألف في قوله تعالى :

﴿(وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا

أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38))24

➢(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2))25

➢(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) 26

➢ (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) 27

➢(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)28

➢(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)29

➢(قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) 30

فما سبب ذلك ؟ وما مدلوله الاجتماعي؟ورد لفظ صاحب في بداية قصة صاحب الجنتين دون ألف (صحبه)، حيث مازال الحوار قائما بينهما، وكان صاحبه المؤمن محبا له، متعلقا به،ولم يظهر من صاحب الجنتين بعد إيمان أو كفر، لكن حينما بدا منه الكفر الصريح، و ذلك عند إنكاره البعث عند قوله : (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) نفر منه صاحبه المؤمن، و خرجت من قلبه محبته و التعلق به، فتغيرت طريقة كتابة (صاحبه) فجاءت هذه المرة بالألف.للدلالة على أن الصحبة في بداية القصة ليست ذاتها في نهايتها ،

حيث في البداية كانت أقوى ظاهريا و باطنيا،فالظاهرية تتجلى في اجتماع الأبدان قربا و حديثا، و الباطنية بتعلق القلوب محبة وموالاة، أما في آخر القصة فقد اتضح كفر صاحبه، فزالت الباطنية، وبقيت الظاهرية فقط .ونجد نفس الأمر حينما يُذكر النبي صلى الله عليه و سلم مع قومه المشركين، حيث ترد (صاحب) بالألف: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2))

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46))

(وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ)

أما حينما يذكر أبو بكر الصديق، يختفي الألف، للدلالة على وجود الصحبة بشقيها الظاهري و الباطني :

(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)

ونفس الأمر يتكرر حينما ذكرت صحبة سيدنا موسى مع الخضر :

(قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا)

أما في حالة صحبة أبوين كافرين لولدهما المؤمن، فقد ظهر الألف للدلالة على وجود الصحبة الظاهرية دون الباطنية :

(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)

فحذف الألف في لفظ (صحبه) يدل على القرب الباطني و الظاهري ، أما إثبات الألف في لفظ (صاحبه) فيدل على البعد و النفرة الباطنية دون الاجتماع الظاهري .**والدلالة الاجتماعية لذلك هي أن الصحبة نوعان: كاملة و تشمل الجانبين الباطني وهو ارتباط القلوب محبة وتعلقا، والظاهري وهو اجتماع الأبدان مجالسة وحديثا، وهذا لا يكون إلا مع المؤمن الصالح، أما إذا كان هذا الشخص غير مؤمن، فيجب دعوته أولا إلى الإسلام، فإن استجاب فبها ونعمت، وإن رفض، فلا يجب هجرانه والابتعاد عنه،بل يجوز اتخاذه صاحبا غير كامل الصحبة، وذلك بالارتباط الظاهري معه، أما الباطني فيجب أن يكون القلب منكرا ونافرا من حالة الكفر التي هو متلبس بها .وارتباطنا الظاهري بالمخالف لنا في الدين، يؤدي إلى استفادتنا من بعضنا البعض، في أمور دنيانا مما يُحقق مقصدا عظيما من مقاصد خلق البشرية، وهو عمارة الأرض،وعدم ارتباطنا القلبي به يؤدي إلى صيانة إيماننا وتقوية تمسكنا بمبادئ ديننا، وابتعادنا عن التقليد الأعمى لهم،فيسلم بذلك المجتمع من التميع والانحراف الخلقي، وفي نفس الوقت نستفيد من خبراتهم وتجاربهم و أنظمتهم في مختلف مجالات الحياة. و الله أعلم بمراد كلامه.**

3 ـ الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة، نرجو أن نكون قد أثرنا عقولا، بفتحنا بابا جديدا للنهل والاستفادة،بطريقة غير معهودة و لا مألوفة،من هذا الكتاب الإلهي العظيم،الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنحصر معانيه، و ذلك بالتأمل و التدبر في طريقة رسم الكلمات القرآنية، واختلاف كتابتها من موضع لآخر، وبعد ذلك الانتقال إلى البحث عن الدلالات المتعددة من وراء ذلك: الفقهية والأصولية واللغوية والعقائدية والتربوية والنفسية وغيرها.

نسأل الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا،أن يوفقنا إلى المزيد من التدبر في كتابه العزيز،واستخراج جواهر ودرر معانيه النفيسة، فهو المعين الإلهي الذي لا ينضب ولا ينفد.

الهوامش :

1 ـ نسبة إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه .

2 ـ الحديث أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص3

3 ـ سورة النساء .الآية : 95

4 ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن بَـاب كَاتِـبِ النَّبِـيِّ (8/ 637-638) ح 4990.

5 ـ رواه الطبراني في معجمه الكبير ج5/ ص142 ح4888

6 ـ أخرجه أحمد في مسنده ج1 - ص57 ،69 ، والترمذي في كتاب التفسير ، تفسير سورة التوبة . سنن الترمذي ج5 - ص272 ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب مـا جـاء من جهر بها . سنن أبـي داود ج1 - ص268 . والحـاكم في المـستدرك ج2 - ص221، 330 وصححه ووافقه الذهبي

7 ـ في كتابه إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (7/ 446)

8 ـ كتاب المصاحف : 181-182، وعنه السيوطي في الدر المنثور: 4 / 332، وابن حجر في الفتح: 9 / 15، وانظر فضائل القرآن لابن كثير (27)، والإتقان : 1 / 166

9 ـ كتاب المصاحف 1 / 169

10 ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري 9 / 14

11 ـ مناهل العرفان . الزرقاني 1/ 382

12 ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة .محمد حميد الله .ص 161

13 ـ شرح الكوكب المنير. تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار. 1/ 125

14 ـ سورة طه .الآيات : 85-96

15 ـ سورة أل عمران . الآية :35

16 ـ سورة يوسف . الآية :30

17 ـ سورة القصص . الآية :09

18 ـ سورة التحريم . الآية : 10

19 ـ سورة النساء . الآية : 12

20 ـ سورة النساء . الآية : 128

21 ـ سورة النمل . الآية : 23

22 ـ سورة الأحزاب .الآية : 50

23 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري جار الله..3-375

24 ـ سورة الكهف . الآيات :34-38

25 ـ سورة النجم . الآيتان : 1-2

26 ـ سورة سبأ.الآية : 46

27 ـ سورة التكوير . الآية : 22

28 ـ سورة التوبة . الآية : 40

29 ـ سورة لقمان . الآية : 15

30 ـ سورة الكهف . الآية : 76